رِسَالَةُ الشِّعْرِ

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي - العراق -

لغـدٍ سخيٍّ الـفـتـح ما نتجمَّـعُ ... ومـدىً كريمِ الـعيش ما نتـوقَّـعُ

يا «مهـرجـانَ الشِّعـر» عبئُـك مجهدٌ ... فإذا نهضـتَ به فإنَّـك أروعُ

إنَّـا نريدك والأمـاني جُسِّـدت ... بكَ رائـداً يبـني وفـكـراً يُبـدِعُ

أنـا إنْ شدى بكَ مِزهـري فلأنَّ ... لـك اللحـنُ المحبَّـبُ، والنَّشيدُ الأروعُ

ولأنَّ أهـدافـاً تُوحِّـد أو دمـاً ... غمـرَ العـروقَ قرابـةً لا تُقـطعُ

بالأمسِ والحقـدُ اللَّئيمُ يَسـومُنـا ... فيجـفُّ في يَده الأغضُّ الأينـعُ

فابـعثْ بروحٍ منـك في تلعـاتِنـا ... لترفَّ مجدبـةً، ويُورِقَ بلقـعُ

لسـنـا بمعـهـودٍ على أبعـادِنـا ... يَبسٌ، فدنيانـا الـربيعُ المُمْـرِعُ

أيُّ الـكـرائمِ ليس في أعنـاقِهـا ... ممّا نسـجـنـاهُ العـقـودُ اللُّمَّـعُ

أم أيُّ وضَّـاءٍ ولـيسَ بجـذرِهِ ... قبسٌ لنـا يَجلو الـظَّلامَ مشعشـعُ

سُدْنـا فما سادَ الشُّعـوبَ حضـارةٌ ... أسـمـىٰ، ولا خُلُق أعـفُّ وأورعُ

قُدنـا الفتـوحَ فما تشكَّى وَطْـأنـا ... فكـرٌ، ولا دينٌ، ولا مَن يتـبـعُ

حتَّى الـرَّقيقُ تواضعت أحسـابُنـا ... كَرمـاً، فأولـينـاهُ مالا يَطمـعُ

عفـواً إذا جَمَحَ الخـيالُ فلَمْ أجـئْ ... للأمس أمـري الضَّـرعَ أو أسـترضعُ

لكنّها صورٌ جلوتُ ليُرسَمَ الفجـ ـرُ المشرَّفُ والأصيلُ المُفجِعُ
ولْيستبينَ الشِّعرُ أيَّ رسالةٍ يُدعىٰ لها؟ وبأيِّ أمرٍ يَصدَعُ؟
يُدعىٰ إلى وطنٍ يُشظّي خصمُه أوصالَه بيد الهُباةِ، وَيقْطَعُ
والمبتلى ببنيهِ في نزواتِها تُعطيه مزرعةً لمن لا يَزرعُ
يُدعى ليُهدَم ما بنوه حواجزاً ويلمَّ ما قد مزَّقوه وزَّعوا

* * *

يا «مهرجانَ الشِّعر» حَسبُ جراحنا أنَّ الهوى ممَّا تُعتِّق يكرعُ
ولقد نغصُّ لما نقولُ بأنَّها يلهو بها الآسي،ويَسخَرُ مبضِعُ
غنّىٰ بها نفرٌ فألم حزنَنا إنَّ التَّغنِّي بالجراحِ تَنطّعُ
ولَشدَّ ما يُؤذي الكرامةَ أن نَرى صوتَ المساومِ بالكرامةِ يُرفَعُ
هذي رحابُ القدسِ منذُ ترنَّحت صرعىٰ إلى زعقاتِنا تتسمَّعُ
تصحو على نَوءٍ فتتلعُ جيدَها وتراهُ من خُدعِ السَّحاب فتُهطِعُ
عشرون كفّاً حرةً ما أوقفت مهوىٰ يدٍ مغلولةٍ إذ تَصفعُ
الشَّوطُ تغرقهُ السّروجُ وإنَّه دونَ السروجِ لفارسٍ يتطلَّعُ
كنا نهبُّ على الزعيقِ،ومذ طغى صرنا ننامُ على الزَّعيقِ،ونهجعُ
فأثِر منوَّمةَ الجراحِ وقُلْ لها: ثوري، فمَن مثلُ الجراحِ يُلَعْلِعُ؟
لا تشتمنَّ الخطبَ أو تبكي له فالخطبُ ليس بمثلِ ذلك يُدفَعُ
فلقد شتَمنا الرُّزءَ حتَّى أتخمت آذانُه ، والرزءُ باقٍ مُزْمِعُ
لكن تصدَّ له فإن أخضعتَه تحيا،وإن خفتَ المماتَ ستَخْضَعُ
فالمجدُ يحتقرُ الجبانَ لأنَّه شَرِبَ الصَّدى،وعلى يديهِ المَنبعُ

* * *

قالوا بأنَّ الشِّعرَ هُوَ مُرفَّهٍ وسبيلُ مُرتزقٍ به يَتذرَّعُ
وإذا تساميتا به فهو الصَّدى للنفسِ، يَلبسُ ما تُريدُ ويَخْلَعُ

إن تطرب الأرواحُ فهو غناؤها ... وإذا شجاها الحُزنُ فهو الأدمعُ
فذروهُ حيثُ يعيشُ غِرِّيداً على ... فَنَنٍ، ومُلتاعاً يئِنُّ فَيُوجِعُ
لا تطلبوا منه، فما هو بالَّذي ... يبني ويهدمُ، أو يَضرُّ وينفعُ
أكبرتُ دورَ الشِّعر عمّا صوَّروا ... وعرفتُ رُزءَ الفكرِ في مَن لم يَعُوا
فالشِّعرُ أجَّجَ ألفَ نارٍ وانبرى ... يلوي أُنوفَ الظالمينَ ويَجدعُ
لو شاءَ صاغَ النَّجمَ عقداً ناصعاً ... يزهو به عنقٌ أرقّ وأنصعُ
أو شاءَ ردَّ الرَّملَ من نفحاتِه ... خضِلاً بأنفاسِ الشذى يتضوَّعُ
أو شاءَ ردَّ اللَّيلَ في أسحارِه ... واحاتِ نورٍ تستشفُّ وتلمعُ
أو شاءَ قادمن الشُّعوبِ كتائباً ... يعنو لها من كلِّ أُفقٍ مَطلعُ
أنا لا أُريدُ «الشِّعرَ» إن جدَّت بنا ... نُوبٌ، يُخلِّي ما عناهُ ويقبعُ
أو أن يوشِّي الكأسَ في سمر الهوى ... ليُضاءَ ليلُ المترَفين فَيسطعُ
أو أن يُباعَ فيشتري إكليلَه ... تاجٌ من المدحِ الكذوبِ مُرصَّعُ
لكن أُريدُ «الشعرَ» وهو بدربِنا ... مجدٌ، وسيفٌ في الكفاحِ، وأدرعُ

* * *

بغدادُ يا زهوَ الرَّبيعِ على الرُّبى ... بالعطرِ تَعبقُ والسَّنا تتلفَّعُ
يا ألفَ ليلة ما تزالُ طيوفُها ... سَمَراً على شطآنِ دِجلةَ يمتعُ
يا لحنَ (معبد) والقيانُ عيونُها ... وَصْلٌ كما شاءَ الهوى وَتمنُّعُ

* * *

بغدادُ يومُكِ لا يزالُ كأمسِهِ ... صورٌ على طرفَي نقيضٍ تُجمعُ
يطغى النَّعيمُ بجانبٍ وبجانبٍ ... يطغَى الشِّقا فمرفَّه ومضيَّعُ
في القصرِ أُغنية على شفةِ الهوى ... والكوخُ دمعٌ في المحاجرِ يلذعُ
ومن الطَّوى جنبَ البيادر صُرَّع ... وبجنبِ زقِ أبي نؤاسٍ صُرَّعُ

ويَد تُكبَّلُ وهي مما يُفتدىٰ ... ويَدٌ تُقبَّلُ وهي مما يُقطعُ
وبراءةٌ بيد الطُّغاةِ مُهانةٌ ... ودناءَةٌ بيدِ المبرِّر تُصنعُ
ويُصانُ ذاك لأنَّه من معشرٍ ... ويُضامُ ذاك ،لأنَّه لا يَركعُ
كبُرت مفارقةٌ يمثِّلُ دورُها ... باسِم العروبةِ،والعروبةُ أرفعُ
فتبيَّني هذي المهازلَ واحذري ... من مثلِها، فوراءَ ذلك إصبعُ
واستلهمي روحَ الوفودِ فإنَّها ... شَمْلٌ يُلمُّ، وأُسرة تتجمَّعُ
وترسَّمي الركبَ المُغِذَّ ولاتَني ... فالرَّكبُ أتفهُ ما به من يظلعُ
وإذا لمحتِ على طريقك عتمةً ... وستلمحين لأنَّ دربَكِ أسفعُ
شدِّي وهزِّي الليلَ في جبروته ... وبعهدتي أنَّ الكواكبَ تَطلعُ

* * *

يا «مهرجانَ الشعرِ» مَرَّ بأُفقنا ... وَهجٌ،يَفُحُّ من السمومِ ويَفزعُ
بالحقدِ تُسقىٰ ما علمت جذورُه ... وبثوبِ إنسانيةٍ يتبرقعُ
يمشي إلى الهدفِ الخدوعِ ولو على ... بركِ الدِّما وغليلهُ لا يَنقعُ
أَغرى الخطايا بالنعوتِ رفيعة ... ومشى على القيَمِ الكريمةِ يَقذعُ
فالله وهمٌ! والفضيلةُ كلُّها ... ترفٌ! وما رسمت وما تستتبعُ
ما الفردُ إلا معِدةٌ وغريزة! ... وسواهما أُكذوبةٌ وتصنّعُ!
ومشى بمعصوبِ العيونِ يقودُه ... يبكي إذا أوحىٰ له ويرجِّعُ
سوَّاه من دَنسٍ فماتت عندَه ... فِطَرٌ سليماتٌ ، ولُوِّث مَنزعُ
وأَسفَّ فاحتضنَ المسوخَ يربُّها ... حتَّى تعملقَ في ذراهُ الضِّفدعُ
حتَّى إذا الطُّغيانُ طاحَ بأهلِهِ ... وكبا بِهِ بَغيٌ وأوشكَ يصرعُ
ألقىٰ لنا صُوراً تعدَّد نعتُها ... لكنَّها تنمىٰ إليهِ وترجعُ
فانهدْ له بالفكرِ يخضد جذرَه ... فالفكرُ ليس بغيرِ فكرٍ يقرَعُ
وأَغِثْ جياعَ عقيدةٍ فَهُمُ إلى ... فكرٍ يُسدِّد من طَعامٍ أجوعُ

قُدهُم إلى نبعِ السَّماءِ نِطافُه ... عَذِبٌ، وسائغُ وردِهِ لا يُمنعُ
واسلك بهم دَرباً أضاءَ محمّدٌ ... أبعادَه، وجلاهُ فهو المِهيعُ
وأنا الضَّمينُ بأنّه سيُعيدهم ... أَلَقاً يَمُتُّ إلى السُّموِّ وينزعُ
وسيعرفون بأنَّ ما شرعَ السَّما ... يبني الكريم الرَّغد، لا ما شرَّعوا

* * *

يا «مهرجانَ الشِّعر» إنَّ ثمالةً ... من كأسِ غيركَ عافَها المترفِّعُ
ما آمنت بكَ غيرَ أنَّ ظروفَها ... تُملي ولاءً بالرِّياءِ يُقنَّعُ
ولجت حِماك وفي الرؤوس مُخطَّط ... وأُعيذُ قومي مَن لَظاهُ مُروِّعُ
وهي الَّتي إن أُوترت أقواسَها ... في غفلةٍ، فأنا وأنتَ المَصرعُ
فتوقَّ أرقُمها فلستَ بواجدٍ ... صِلّاً على طولِ المدى لا يلسعُ
لا تطربنَّ لطبلِها، فطبولُها ... كانت لغيرِك قبلَ ذلك تُقرعُ
ما زلتُ أعرف في يديها من دمي ... عَلَقاً، وهل تنسى ضَناها لُمرضِعُ؟
أيَّامَ نقتسمُ اللَّظى وصدورُنا ... تُضرى، فيمنحُها الوسامَ المدفعُ
ودماؤنا امتزجت سواه فلم تكن ... فِرقاً يصنِّفها الهوى وينوِّعُ
وتعانقت فوقَ الحراب أضالعٌ ... منّا، فما ميزَتْ هنالك أضلعُ
حتّى إذا أرسَى السَّفينُ وعافه ... نوءٌ، زجرنا منكبيه زعزعُ
عدنا وبعضٌ للسفين حبالُهُ ... والبعضُ حصَّته السَّفينةُ أجمعُ
ومشت تُصنِّفنا يدٌ مسمومةٌ ... مُتسنِّنٌ هذا وذا متشيِّعُ
يا قاصدي قتلَ الأُخُوّة غيلةً ... لُمُّوا الشِّباك فطيرُنا لا يُخدعُ
غَرَسَ الإخاءَ كتابُنا ونبيُّنا ... فامتدَّ واشتبكت عليهِ الأذرعُ

* * *